

الأسس المرجعية والأبعاد الحضارية للوسطية في القرآن الكريم
**Basic References and civilizational dimensions of the
Moderation in the Holy Quran**

محمد عالي الجماني¹

¹كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة السلطان مولاي سليمان، المغرب

medalijoumani@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/03/09 تاريخ القبول: 2022/05/26 تاريخ النشر: 2022/06/02

ملخص

الوسطية مطلب شرعي أصيل ومقصد أسمى ومظهر حضاري رفيع، اعتدال بين الإغراق في الدين أو الإقبال على الدنيا وشهوتها، وهي استواء واستقامة في الاعتقاد والسلوك والمعاملة والأخلاق، تعد الوسطية في كل الأمور من أهم مزايا المنهج الدين الإسلامي.

من هنا؛ جاءت هذه الورقة البحثية للإجابة عن هذا الإشكال؛ ما هي أسس المرجعية العامة للوسطية في القرآن الكريم ؟، وأين تتجلى أبعادها الحضارية ؟، من هنا؛ جاءت هذه الورقة البحثية للإجابة عن هذا الإشكال من خلال تدبر آيات الذكر الحكيم، محاولا قدر الإمكان أن أستوعب مفهوم الوسطية في القرآن الكريم، من خلال الاعتماد على المنهج الاستنباطي.

الكلمات المفتاحية: الوسطية؛ الأسس؛ المرجعية؛ الأبعاد؛ الحضارة.

Abstract:

Moderation is a genuine legitimate demand, a supreme purpose and a high cultural appearance, a moderation between the dumping of religion or the interest in the unfinished desire . it is a level and integrity in belief, behavior, treatment and morals. Moderation is considered in all matters to be one of the most important advantages of the Islamic approach, which is reflected

in charity, justice, integrity, ease, embarrassment, safety and security. Humanity today is more in need of moderation than ever.

Keywords: Moderation, Basics, References, Dimensions , and Culture.

المؤلف المرسل: محمد عالي الجماني

مقدمة

إن المتأمل في الواقع الذي تعيشه الحضارة الإنسانية المعاصرة اليوم يرى بونا شاسعاً، في مشاربها وأهدافها، واختلافاً في منطلقاتها وغاياتها، من خلال الإفراط والتفريط والإرهاب والغلو والجفاء... إلخ¹، إنَّ كل أمرٍ اتَّصف بهذه الأوصاف، فإنه يُخالف الوسطية، وبمقدار اتَّصافه بأيٍّ من هذه الأوصاف يكون بعده عن الوسطية وتجافيه عنها .

¹ واقع النهايات المتلاحقة من نهاية اللاهوت وموت الإله مع نيتشه، ونهاية الإنسان وتفكيكه مع البنيوية، وتيار فلسفة موت الإنسان، (هيدغر وستروش)، ونهاية التاريخ مع فوكوياما، جميعها قد أفقدت العالم منهجه الوسطي وبعده الإنساني، أنظر كتاب، المركزية الغربية ، عبد الله إبراهيم، الدار العربي للعلوم ، ط 1، 2010م. بالإضافة إلى ذلك عجز الفكر الإسلامي المعاصر من استنطاق معاني ومقاصد الوسطية في القرآن الكريم، أنظر كتاب العالمية الإسلامية الثانية جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، محمد أبو القاسم حاج حمد، دار الساق، ط 3، 2012م، ومن هذا المنطلق فإن هذا البحث هو محاولة لفهم مفهوم الوسطية، وذلك من خلال إعادة المركزية للنص المرجعي القرآن الكريم، في سبيل إستعاب مفهوم الوسطية، وأهميته في ترشيد تحديات الواقع ومتطلباته، من أجل بناء حضارة إنسانية معاصرة، تبتعد عن الغلو وتطرف، في فكرها وفي ممارستها.

الأسس المرجعية والأبعاد الحضارية للوسطية في القرآن الكريم

الوسطية في العرف العملي، "هي الاتزان والاعتدال في الأقوال والأفعال، والتصرفات كلها، فمن كان كذلك فهو متمسك بالوسطية، ومن غالى، أو قصر عن ذلك، فهو خارج عن حدها إلى حد أضدادها"².

ان الحضارة الإنسانية المعاصرة بصفة عامة، والأمة الإسلامية بصفة خاصة بأمس الحاجة إلى منهج الوسطية منقذاً لها، من هذا الانحراف الذي جرَّ عليها المصائب والمشكلات عديدة، ولقد جاء منهج الوسطية من خلال القرآن الكريم في أساليب عدة تصريحاً وإيماء مفصلاً ومجماً، خبراً وإنشاءً، وأمرًا، ونهيًا، تعتبر الوسطية إحدى الخصائص الرئيسية للأمة الإسلامية التي نصَّ عليها القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث جاءت الوسطية في الإسلام شاملة لأصوله وفروعه لتعمل على ضبط توازنات الحركة الإنسانية في جميع أمور دينها ودنياها، من هنا كانت الوسطية هي القاعدة الأساسية للحياة الإسلامية في جميع مجالاتها. ولقد جاء منهج الوسطية من خلال: "القرآن الكريم في أساليب عدة تصريحاً وإيماء مفصلاً ومجماً، خبراً وإنشاءً، وأمرًا، ونهيًا، القرآن الكريم قد رسم لنا هذا المنهج في شتى جوانبه، أصولاً وفروعاً، عقيدة وعبادة، خلقاً وسلوكاً، تصوُّراً وعملاً"³، ما هي أسس المرجعية العامة للوسطية في القرآن الكريم ؟، وأين تتجلى أبعادها الحضارية؟.

من هنا؛ جاءت هذه الورقة البحثية للإجابة عن هذا الإشكال من خلال تدبر آيات الذكر الحكيم، محاولاً قدر الإمكان أن أستوعب ما كتبه المفسرون حول تقرير القرآن الكريم لمفهوم الوسطية، مع بيان مشروعيتها في القرآن الكريم، وإدراك أهميتها وإيضاح أسسها المرجعية، وأبعادها الحضارية ثم إبراز أهمية المنهج

سعيد، الحسين آيت ، الوسطية والإعتدال: دلالة، ومفهوماً، وتطبيقاً، ط1، مكتبة الهداية، ، 2014م، ص 35.²

ناصر عامر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ط1، دار الوطن، 1314هـ، ص 12.³

محمد عالي الجماني

الوسطي المعتدل في ترشيد تحديات الواقع ومتطلباته، وذلك من خلال إعادة المركزية للنص المرجعي، القرآن الكريم، وإعمال النظر فيه في سبيل استعاب مفهوم الوسطية في القرآن الكريم، وذلك من خلال التفكير في دلالاته وأساسه المرجعية وأبعاده الحضارية، وهذه المحاولة البحثية تروم إلى إبراز أن هذه الأمة استناد إلى وحي ربها المنزل في كتابه العزيز ما تزال تملك القدرة على التغير والتأثير ما ملكته في السابق، "وبنت ذلك على الوسطية، والاقتصاد والاعتدال، فتساوقت بذلك مع السنن الكونية، وانداحت معها في مسلك واحد، يحقق الغاية التي لها وجدت، والْحِكم التي لها انبثقت، فاستقام الخلق بذلك، واستقامت لهم الحياة"⁴.

2. الوسطية في القرآن الكريم.

يعتبر هذا المحور محاولة بحثية في تقرير بعض أدلة الوسطية من القرآن الكريم، أثر ذلك في تحقيق الوسطية ودفع الغلو والتشدد والإرهاب والتطرف بكل أشكاله، وردت الوسطية في القرآن الكريم في أكثر من آية على المعاني التالية؛ بمعنى العدل والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط، ولذلك حري بنا في سياق موضوعنا هذا أن نقف على تلك المواضع التي أشارت إلى الوسطية تصريحاً وتلميحاً في كتاب الله تعالى.

ورد لفظ الوسط بمشتقاته في القرآن الكريم في خمس آيات، تدور كلها حول الشيء الواقع بين طرفين، البعيد عن الغلو والتقصير.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾⁵، قال ابن كثير في تفسيره:

"لنجعلكم خيار الأمم، ولتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم، لأن الجميع

الحسين آيت سعيد، الوسطية والإعتدال: دلالة، ومفهوماً، وتطبيقاً، ص 08.⁴

سورة البقرة، الآية 143.⁵

الأسس المرجعية والأبعاد الحضارية للوسطية في القرآن الكريم

معتزفون لكم بالفضل، والوسط هنا الخيار والأجود، ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً خصّها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب".⁶

قال الطبري: "إنّما وصفهم بأنّهم وسط؛ لتوسّطهم في الدّين، فلا هم أهل غلو فيه- غلوّ النصرارى الذين غالوا بالترهيب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه - ولا هم أهل تقصير فيه - تقصير اليهود، الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم وكفروا به - ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه"⁷، وقال محمد الأمين الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾⁸، أي خياراً عدولاً⁹. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾¹⁰.

وفي التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: " الوسط في هذه الآية فسر بالخيار وفسّر بالعدول، يرى ابن عاشور أنه من أجل ذلك صار معنى النفاسة والعزة والخيار من لوازم معنى الوسط عرفاً فأطلقوه على الخيار النفيس كناية؛ لذلك فإن الآية "لما أخبرت أن الله تعالى جعل هذه الأمة وسطاً وعلمنا أن الوسط هو الخيار العدل الخارج من بين طرفي إفراط وتفريط علمنا أن الله تعالى أكمل عقول هذه الأمة بما تنشأ عليه عقولهم من الاعتیاد بالعقيدة الصحيحة ومجانبة الأوهام السخيفة التي ساخت فيها عقول الأمم، ومن الاعتیاد بتلقي الشريعة من

عماد الدين ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط 2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ، 1999م، ج 1، ص: 452.⁶

أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المحقق أحمد محمد شاكر، ج 3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2002م، ص 141.⁷

سورة البقرة، الآية: 143.⁸

محمد الأمين، الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1996م، ص 75.⁹

سورة آل عمران، الآية 110.¹⁰

محمد عالي الجماني

طرف العدول وإثبات أحكامها بالأستدلال استنباطاً بالنسبة للعلماء وفهمًا بالنسبة للعامة"¹¹.

وقال السيد قطب في ظلال القرآن: "وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط: سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط المادي والحسي"¹².

أمة وسطا في الارتباطات والعلاقات لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته، ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة، ولا تطلقه كذلك جشعا لا هم له إلا ذاته ... "إنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدي إلى الحركة والنماء، وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد في خدمة الجماعة، وتقرر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادما للجماعة"¹³.

أمة وسطا في التفكير والشعور، لا تجمد على ما عملت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة، ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب، وشعارها الدائم: الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، في تثبت ويقين .

إنها الأمة الوسط التي تشهد على النَّاس جميعاً، "فتقيم بينهم العدل والقسط وتضع لهم الموازين والقيم، وتُبدي فيهم رأيها فيكون هو الرأي المعتمد، وتزن قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم، فتفصل في أمرها، وتقول: هذا حق منها وهذا باطل، لا التي تتلقَّى من الناس تصوُّراتها وقيمها وموازينها، وهي شهيدة

محمد طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، بدون طبعة والتاريخ، ص 235.¹¹

محمد قطب، في ظلال القرآن، ط1، دار الشروق، 1972م، ج1، ص 125.¹²
¹³ سيدي ولد سيد محمد، مفهوم الوسطية في الإسلام بين التأصيل الشرعي والتزليل العملي، سلسلة منشورات جامعة شنقيط العصرية، ط1، 1434هـ، 2013م، ص 17.

الأسس المرجعية والأبعاد الحضارية للوسطية في القرآن الكريم

على الناس، وفي مقام الحكم العدل بينهم"¹⁴، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ ،
"أي عدلاً خياراً، وما عدا الوسط فأطراف داخلية تحت الخطر"¹⁵.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾¹⁶ ، أي: "أعدلهم
وخيرهم"¹⁷، قال الطبري: "أمثلهم وأعدلهم وأعقلهم"¹⁸، وقال الألوسي "أحسنهم
وأرجحهم عقلاً ورأياً"¹⁹، يقول عبد الرحمن ناصر بن السعدي، ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ
﴿أي: أعدلهم، وأحسنهم طريقة﴾ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: تنزهون الله
عما لا يليق به، زمن ذلك، ظنكم أن قدرتكم مستقلة، فلولا استثنيتكم فقلتم: { إِنْ
شَاءَ اللَّهُ } وجعلتم مشيتكم تابعة لمشيئته الله"²⁰.

قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾²¹، فالصلاة
الوسطى إحدى الصلوات المفروضة، وقد اختلف في معناها، فبعضهم ذكر أنها
صلاة الفجر وآخرين قالوا: صلاة الظهر، وأيضاً قالوا: العصر والبعض فسرّها بأنها
صلاة المغرب ومجموعة قالوا: بأنها صلاة العشاء، وخلاصة القول فيها أنها وسطى
تتوسط بين صلاتين.

قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا
عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ

محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ط1، دار الشروق، بيروت، 1970، ج1، ص 129.¹⁴

¹⁵ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن
معلا اللويحي، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ، 2000م، ص 451.
سورة القلم، الآية 28.¹⁶

عماد الدين ابن كثير، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج8: ص 126.¹⁷

أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 23، ص 529.¹⁸

¹⁹ شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، دار الفكر للطباعة
والنشر والتوزيع، بدون طبعة وتاريخ، ص 451.

²⁰ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 565.

السورة البقرة، الآية 238.²¹

محمد عالي الحماني

كَسَوْتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴿٢٢﴾. "الوسط بمعنى الأعلى والخيار، هو منزلة بين منزلتين، ونصف بين طرفين ²³، وورد أن أوسط تحتل من أحسن، أو من متوسط، فكلاهما من معاني اللفظ، وكان الجمع بينهما لا يخرج عن القصد، لأن المتوسط هو الأحسن، فالوسط هو الأحسن في ميزان الإسلام.

قوله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ ²⁴، ووردت نصوص قرآنية أخرى كثيرة، وإن لم تذكر لفظ الوسط بجذره، غير أنها ذكرت ألفاظاً أخرى مُقارِبة، أو تضمنت دلالة الوسطية بسياقها. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ ²⁵، قال ابن كثير: "أي: امش مقتصدًا، مشيًا ليس بالبطيء المتثبط، ولا بالسريع المفرط؛ بل عدلاً وسطاً بين و بين ²⁶"، وقال القرطبي: "أي: توسط فيه، والقصد: ما بين الإسراع والبطء، أي: لا تدب ديبب المتماوتين، ولا تثب الشطار" ²⁷.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ²⁸؛ قال البيضاوي: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾؛ "بقراءة صلاتك حتى تُسمع المشركين، فإنَّ ذلك يحملهم على السب واللغو فيها، {ولا تخافت بها}: حتى لا

السورة المائدة، الآية 89. ²²

محمد القرطبي، البدع والنهي عنها، ط1، مكتبة ابن تيمية، 2003م، ص 615. ²³

سورة العاديات، الآية 05. ²⁴

سورة لقمان، الآية 19. ²⁵

أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ، 1999م، ج 06، ص 412. ²⁶

شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط1، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423هـ، 2003م، ج 14، ص 70. ²⁷

سورة الإسراء، الآية 110. ²⁸

الأسس المرجعية والأبعاد الحضارية للوسطية في القرآن الكريم

تُسمع من خلفك من المؤمنين، وابتغ بين ذلك: بين الجهر والمُخافتة سبيلاً وسطاً؛
فإن الاقتصاد في جميع الأمور محبوب"²⁹.

وعلى ضوء ما سبق؛ الوسطية في القرآن الكريم لها صور كثيرة منها :
الوسطية في الإنفاق : وبما أن المال قوام الأعمال، وبه تقضى الحاجات
وتبلغ المقاصد، فإن الله أرشد إلى إنفاقه باتزان ووسطية، في آية هي مفتاح
الاقتصاد الراشد في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾³⁰، ورد في تفسيرها: " لا تكن بخيلاً منوعاً لا
تعطي أحداً شيئاً، ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك وتخرج أكثر من
دخلك فتقعُد ملوماً محسوراً"³¹.

وسطية في الدعوة : قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُتَّبِدِينَ ﴾³²، ورد في تفسيرها "يقول تعالى آمراً رسوله محمداً صلى الله عليه
وسلم، أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة، ومن احتاج منهم مناظرة وجدال، فليكن
بالوجه الحسن برفق وحسن خطاب"³³.

وسطية بين الدنيا والآخرة: قوله تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ
وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾³⁴، ورد في تفسير هذه الآية أي استعمل ما وهبك الله

²⁹ ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار
التأويل، دار إحياء التراث العربي، بدون طبعة والتاريخ، ج 1، ص 472 .

سورة الإسراء، الآية 29.³⁰

عماد الدين ابن كثير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 5، ص 55.³¹

سورة النحل، الآية 125.³²

عماد الدين ابن كثير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 4، ص 349.³³

سورة القصص، الآية 77.³⁴

محمد عالي الجماني

عز وجل، من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة. { وأحسن كما أحسن الله إليك } أي : مما أباح الله فيها من المأكّل والمشارب والملابس والمسكن والمناكح، فإن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً، ولزوجك عليك حقاً، فأت كل ذي حق حقه³⁵.

وعلى ضوء ما سبق فالوسطية في القرآن الكريم تدعو للتوازن والتعقل والحكمة والتوسط في الأمور واختيار العدل والإنصاف وتوطين الأمور واختيار أفضلها وأحسنها وأجودها، وإعطاء كل ذي حق حقه، بدون إفراط أو تفريط أو مغالاة وهذه الوسطية المحمودة والمطلوبة في كل أمور الحياة .

3. الأسس المرجعية العامة للوسطية في القرآن الكريم.

إن الوسطية منهج شرعي بعث الله به سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام سياجاً قوياً ضد الوقوع في برائين الغلو من الإفراط والتفريط، إن الوسطية ليست محصورة في جزئية من الجزئيات ولا ركن من الأركان، وإنما هي منهج متكامل شامل لا ينفصل بعضه عن بعض، لعل من أهم الأسس المرجعية العامة للوسطية في القرآن الكريم :

3.1 ربانية المصدر والمنهج

منهج الأمة الإسلامية رباني تنزيلاً وحفظاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾³⁶، إن المنهج الوسطي الذي جاء في آيات القرآن الكريم للوصول إلى غاياته وأهدافه ومقاصده الواقعية والعملية، منهج رباني خالص، لأن مصدر وحي الله تعالى لخاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم. لم يأت هذا الوحي نتيجة لإرادة فرد، أو إرادة أسرة، أو إرادة طبقة ... إلخ، وإنما جاء نتيجة لإرادة الله

عماد الدين ابن كثير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 6، ص: 99.³⁵

سورة الحجر، الآية: 09.³⁶

الأسس المرجعية والأبعاد الحضارية للوسطية في القرآن الكريم

تبارك وتعالى، الذي أراد به الهدى والنور، والبيان والبشرى، والشفاء والرحمة للعباد³⁷.

فالوسطية في القرآن الكريم، هي توصيف للإسلام بصورته الحقيقية، فالوسطية ليست مصطلحاً جديداً على الإسلام، كما يقول البعض، والاهتمام بها في المرحلة الأخيرة في المؤتمرات والندوات واللقاءات ليس معناه ولادة قيصرية لمصطلحات إسلامية تحاول أن تتماشى مع السياسات العالمية، وإنما هو مصطلح أصيل في ديننا. بل إن الوسطية هي التوصيف الرباني لهذه الأمة قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾³⁸.

والأمة الإسلامية لكونها أمة وسطاً لها مسؤولية ربانية مكلفة بأن تحمل أكمل منهج وأقومه في العقيدة والأخلاق والتشريع إلى بقية المجتمعات الإنسانية، مكلفة بدعوة الأمم الأخرى إلى الصراط المستقيم، منهج الله الذي يضمن للإنسان والمجتمع الحق والخير ويحقق له السعادة، القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد المحفوظ بعناية الله من التحريف والزيادة والنقصان، فهو منهج رباني في عقائده وعباداته وآدابه وأخلاقه وشرائعه ونظمه وذلك في الأسس الكلية والمبادئ العامة.

فكمال الوسطية قد وضع الله عز وجل، لها منهجاً ربانياً شاملاً، وسعى رسول الله صلى الله عليه وسلم، في حياته وسيرته إلى التطبيق الكامل لهذه الوسطية، فهذه الوسطية خصيصة الأمة الإسلامية المتمثل في لغة القرآن الكريم ومعانيه ومقاصده، كما أورده القرآن الكريم وطبقه رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، فهي تختلف تمام الاختلاف عن مفهوم الوسطية عند فكر الإنسان النسبي والقاصر على أن يحيط بكل الأمور إحاطة شاملة وكاملة، فالوسطية في القرآن الكريم لا تهدف إلى الجمع بين المتضادين، أو المتعارضين، أو التوسط بين

يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص: 36.³⁷

سورة البقرة، الآية 143.³⁸

محمد عالي الحماني

النقيضين، أو إرضاء الطرفين واتخاذ موقف محايد، وإنما الهدف من الوسطية في القرآن الكريم الوصول إلى الحق.

يتجلى شمولية وكمال المنهج القرآن الكريم القائم على الوسطية والإعتدال، من خلال إيجاد التوازن في حياة الإنسان الروحية والمادية وفق فطرة الله التي فطر الناس عليها.

2.3 التوازن بين الروحية والمادية:

من بين أهم الأسس المرجعية العامة للوسطية في القرآن الكريم، التوازن بين الروحية والمادية أو بعبارة أخرى بين الدين والدنيا.

لقد وُجدت في التاريخ جماعات وأفراد كان كل همهم إشباع الجانب المادي في الإنسان، وعمارة الجانب المادي في الحياة، دون الالتفات إلى الجانب الروحي للإنسان. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾³⁹.

هذه النزعات المغالية في المادة وقيمة الدنيا، جديرة بأن تُؤلّد الترف والطغيان والتكالب على متع الحياة، والغرور والاستكثار عند النعمة واليأس والقنوط عند الشدة.

وفي الطرف المقابل لهذه النزعة وأصحابها، وجد آخرون من الأفراد والجماعات، نظروا إلى الدنيا نظرة احتقار وعداوة، فحرموا على أنفسهم طيبات الحياة الدنيا وزينتها، وعطلوا قواهم في عمارتها، والإسهام في تنميتها وترقيتها واكتشاف ما أودعه الله فيها.

وأصبح الشائع في مفهوم الناس عن الدين والتدين حق هو الانقطاع عن العالم، والتفرغ للعبادة، وأن المتدين الحق هو الذي يتقشف فلا يتمتع، ويتبتل

سورة الأنعام، الآية 29.³⁹

الأسس المرجعية والأبعاد الحضارية للوسطية في القرآن الكريم

فلا يتزوج، ويتعبد ليله قائما ونهاره صائما، يده في الدنيا صفر وحظه من الحياة خبز من الشعير، ولبس المرقع.

وبين هاتين النزعتين المتطرفتين دعا القرآن الكريم إلى الوسطية، من خلال منهج التوازن والاعتدال إلى العمل للحياة والضرب بطيبتها، بجوار الحث على الاستعداد للأخرى والتزود ليوم الحساب، وذلك بالإيمان والعبادة وحسن الصلة بالله ودوام ذكره الذي تطمئن به القلوب.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾⁴⁰.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾⁴¹.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁴². ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾⁴³.

الأمة الإسلامية؛ أمة وسطا في التصور والاعتقاد، لا تغلو في التجرد الروحي، ولا في الارتكاس المادي وإنما تتبع الفطرة في الروح متلبس بجسد، أو جسد متلبس به الروح، "وتعطي لهذا الكيان المزدوج الطبقات حقه المتكامل من كل زاد، وتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها،

سورة المائدة، الآية 87_88.⁴⁰

سورة الملك، الآية 15.⁴¹

سورة الجمعة، الآية 10.⁴²

سورة القصص الآية: 77.⁴³

محمد عالي الجماني

وتطلق كل نشاط في عالم الأشواق وعالم النوازع، بلا تفریط ولا إفراط في قصد وتناسق واعتدال⁴⁴.

وعلى ضوء ذلك فالوسطية في القرآن الكريم تتجلى على أساس التكامل بين المحدد المادي والروحي فيما بينهما تمام التكامل، أن أحدهما لا يصلح وحده إذا لم يأت مقترنا مع الآخر، وأنه لا مناص لتحقيق الوسطية على مستوى الفكر والممارسة إلا من خلال ربط مؤتلف مشدود فيما بينهما لينشأ الإنسان السوي المتكامل، الذي يؤدي رسالته في الحياة خير أداء والذي يفيض من شخصيته وسلوكه الخير لنفسه والناس من حوله، و الانفصام بين المحددين يودي بشخصية الإنسان إلى الضعف ويسومها الخلل والانحراف والشذوذ، وفي ذلك ما يسوق الإنسان إلى التعثر والتعاسة وإلى قسوة العيش المنكود، وفي مراعاة التكامل في المحددين، ذلك هو السبيل الحق في تحقيق الوسطية التي تأتي بالخير العميم في تكامل وإنسجام بين المادة والروح .

3.3 اليسر ورفع الحرج والمشقة :

إن من أول ما يتبادر إلى أذهاننا عندما نطلق كلمة (الوسطية) هو معنى اليسر ورفع الحرج والمشقة، وهذا الفهم صحيح، فإن من أبرز الأسس المرجعية العامة للوسطية في القرآن الكريم: اليسر ورفع الحرج والمشقة.

إن مبدأ اليسر ورفع الحرج والمشقة ثابت في آيات القرآن الكريم، وهو مقصد عظيم لا ينكره إلا الجاهلون بمقاصد القرآن الكريم، وأن الابتعاد عن هذا المنهج القويم يورث آثار سلبية وأضراراً خطيرة على عمل الإنسان وسلوكه في دينه ودنياه، وربما يخرج عن الصراط السوي إلى السبل المتفرقة والأفكار المنحرفة، فتفتح أبواب الغلو والتطرف والإرهاب.

⁴⁴ سيدي ولد سيد محمد، مفهوم الوسطية في الإسلام بين التأصيل الشرعي والتزليل العملي، ص 16 .

الأسس المرجعية والأبعاد الحضارية للوسطية في القرآن الكريم

ومن الأدلة على وسطية الدين وسماحته، قوله تبارك وتعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁴⁵، ويقول تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾⁴⁶، ويقول تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾⁴⁷، ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ اللَّهِ أَبْيَكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾⁴⁸.

ووجه الدلالة: أن وصف الله سبحانه وتعالى الدين بأنه يسر، "وبأن الله ما جعل علينا فيه من حرج، وأن الله يريد أن يخفف عنا، كل هذا يدل على أن الغلو في الدين غير مطلوب، بل ليس هو من الدين، وأن التوسط هو سمة الدين ومنهاجه"⁴⁹.

يقول الدكتور صالح بن حميد: "إن رفع الحرج والسماحة والسهولة راجع إلى الاعتدال والوسط، فلا إفراط ولا تفريط، فالتنطع والتشدد حرج من جانب عسر التكليف، والإفراط والتقصير حرج فيما يؤدي إليه تعطيل المصالح وعدم تحقيق مصالح الشرع، فالتوسط هو منبع الكمالات، والتخفيف والسماحة ورفع الحرج على الحقيقة هو في سلوك طريق الوسط والعدل"⁵⁰.

سورة المائدة، الآية 06.⁴⁵

سورة البقرة، الآية 185.⁴⁶

سورة النساء، الآية 28.⁴⁷

سورة الحج، الآية 78.⁴⁸

الشاطبي، الموفقات، ط 1، دار ابن عفا، 1417هـ، ص 148.⁴⁹

محمد صالح عبد الله بن حميد، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، دار الاستقامة، ط 1، 1412هـ، ص

13.⁵⁰

محمد عالي الجماني

كما أن الفهم السليم في تقرير مبدأ اليسر ورفع الحرج والمشقة؛ بمنهجه الوسطي المعتدل لا يعني الإخلال بمقاصد الشريعة والدين، فلا نفهم من مبدأ اليسر ورفع الحرج والمشقة أنه تفريط في تطبيق أحكام هذا الدين وتنفيذ أوامره، لأن هذا اليسر ورفع الحرج والمشقة لا يكون في إثم ولا معصية.

التيسير والتخفيف ورفع الحرج، ليس معناه التساهل والتهاون بحجة التيسير والتخفيف، فالوسطية منهج متكامل بين الإفراط والتفريط، لا تتعلق بجزئية أو جزئيات كما يتصور كثير من الناس، بل هو منهج شامل يدعو الناس إلى الصراط المستقيم في كل الأقوال والأفعال والأحوال.

بالنظر إلى ما سبق يمكننا استخلاص أن الوسطية في القرآن الكريم تنبني على مجموعة من الأسس المرجعية العامة لعل من أهمها؛ ربانية المصدر والمنهج، التوازن بين الروحية والمادية، اليسر ورفع الحرج والمشقة، وقد حولنا قدر المستطاع إبراز هذه الملامح بوصفها أسسا لبناء الوسطية الإسلامية الناصعة التي قدمت الإسلام سراجاً منيراً انتشل البشرية من هاوية سحيقة كانت قد تردت فيها وذلك بالدعوة الخالصة والتسامح الفذ والشفقة الفريدة التي تعيد الإنسان إلى فطرته وتجعله ينسجم مع ذاته فالإسلام الحق، وقد شكلت هذه الوسطية على مر الزمن عامل قوة ووحدة للأمة الإسلامية وحصنها المنيع من الزيغ والانحراف.

إلا أن الأسس المرجعية العامة للوسطية في القرآن الكريم واجهت فهماً مخالفاً لها؛ تمثلت قديماً في النصية الظاهرية والعقلانية الاعتزالية، وإفراطاً مع الخوارج والشيعة، وتفريطاً مع المرجئة، وهو ما يعكس تراكمات تاريخية صعب التخلص منها، كما تمثلت حديثاً في التحدي فساد المنهج والفهم المغلوط للإسلام، مما وضع المسلمين في مواقف حرجة إزاء الآخر وكأننا في صدام مع العالم، بعد أن بذل الفكر الإسلامي جهداً كبيراً في سبيل تطوير تواصله مع العالم عبر تعارف

الأسس المرجعية والأبعاد الحضارية للوسطية في القرآن الكريم

الحضارات وحوار الأديان واستعاب مفاهيم التطور كالحداثة والديمقراطية وحقوق الإنسان .

4 . الأبعاد الحضارية للوسطية في القرآن الكريم.

قد عرّف ابن خلدون الحضارة بأنها: "نمط من الحياة المستقرة ينشئ القرى والأمصار، ويضفي على حياة أصحابه فنوناً منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والصناعة وإدارة شؤون الحياة والحكم وترتيب وسائل الراحة وأسباب الرفاهية"⁵¹.

الحضارة علم ونظام، تجد فيها البشرية تحقيق ذاتها، وتمثل ميولها ونزعاتها، وتشحذ مواهبها وملكتها لتملأ رحاب الحياة بالعمل المثمر"⁵²، وهي مهما يكن جانبها الأبرز متمثلاً في مظهرها الخارجي من الإنجازات المادية والمعنوية فإن منطلقها يكون متمثلاً في مظهرها الخارجي من الإنجازات الدينية أو الأفكار الفلسفية التي توجه تلك الإنجازات، "وتضع منهجها، وتطبعها بطابعها، وليس اختلاف الحضارات وتنوعها إلا بسبب تغاير هذه المنطلقات المرجعية، فكل حضارة إنما تكون متميزة عن غيرها جزاء مرجعيتها من المعتقدات والأفكار، بحيث يمكن أن يُعاد بكلّ خصائصها ومميزاتها إلى تلك الموجّهة"⁵³.

ولا جدال حول أهمية الوسطية والإقرار بها كمبدأ انساني حضاري، وقد خصها الذكر الحكيم ، بآيات عديدة وانتهجتها السنة الشريفة وبذلك هي محل اتفاق عند المسلمين. و الأبعاد الحضارية للوسطية في القرآن الكريم عديدة تجعل الحياة البشرية مزدانة بأوصاف الحق والخير والاعتدال أو الاتزان في معالجة مشكلات الحياة.

أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، دار الجيل، بدون طبعة وتاريخ، ص 215 .⁵¹

محمد سبع، قيم حضارية في القرآن: العالم الذي صنعه القرآن، ص 11.⁵²

محمد عالي الحماني

القرآن الكريم هو كلمة الله الأخيرة، بمنهجه الوسطي وأبعاده الحضارية؛ "فهو يربط الناس بالتطور حتى لا تقف عجلة التاريخ، حضارة القرآن الكريم بمنهجه الوسطي شمولي خصبة ولد تمضي مع ركب الحياة السائرة متجاوبة مع أهدافهم مستوعبة لمشكلاتهم، تجد لكل مشكلة طارئة حلاً موفقاً ولكل سؤال جواباً سديداً، فهذا المنهج الوسطي لا يجمد أمام ما يرد عليه من مسائل جديدة، لم تكن في العهد الأول للإسلام، بل هو منهج شمولي وسطي به يقاس الحاضر على الماضي، ويلحق الفرع بالأصل، وتنظر في علة الحكم التي تشملها،"⁵⁴ وبهذا تأخذ الوسطية في القرآن الكريم سمتها الحضارية، والوسطية في القرآن الكريم ذات أبعاد فكرية وعملية وإنسانية وحضارية.. فهي تتأسس من الوحي الإلهي الذي له الفهم الشامل للإنسان الذي يتكون من الجانبين المادي والروحي. وعلى الصعيد العملي منهج شامل وكامل في تعامل مع الآخر الذي يبتعد عن القهر والاجبار، هناك أبعاد حضارية كثيرة للوسطية في القرآن الكريم نختصرها في ثلاثة أبعاد منها:

1_ البعد الأمني والاطمئنان :

تمثل الوسطية ساحل الأمان والبعد عن الأخطار والمخاوف. فقد جرت سنة الله تعالى في هذا الكون أن تكون الأطراف في كل شيء عادة متعرضة للفساد والهلاك، إن الأمن والاطمئنان من المطالب العالية الرفيعة النبيلة التي تسعى إلى تحقيقه المجتمعات البشرية، وتبذل جميع ما في وسعها من إمكانيات بشرية أو مادية أو قوة لاستتبابه وانتشاره وما ذاك إلا لعلمها أن الأمن مقدم على غيره من

⁵³ عبد المجيد النجار، معالم المنهج الحضاري في الإسلام، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد الخامس والعشرون، 1431هـ، 2010م، ص143.

توفيق محمد سبع، القيم حضارية في القرآن الكريم، دار المنار للنشر والتوزيع، بدون طبعة وتاريخ، ج2، ص78.⁵⁴

الأسس المرجعية والأبعاد الحضارية للوسطية في القرآن الكريم

مطالب الحياة كلها حتى الغذاء والكساء، لأن الخائف لو توفر له الغذاء لا يتلذذ بغذائه ولا بسكنه، بل لا يجد للحياة طعماً.

ولما كان الأمن بهذه المنزلة وبهذه الأهمية في الحياة، بين الله - عز وجل - الأسباب والمقومات التي إذا تحققت تحقق الأمن، وإذا أهملت أو قصرت في تطبيقها ينعدم الأمن في الغالب أو تزعزع واضطرب، ومن الأبعاد الحضارية للوسطية في القرآن الكريم، البعد الأمني و الاطمئنان، ولا شك أن التمسك بالقرآن الكريم والسنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ هو الذي يحقق الأمان والاطمئنان لأهل الإيمان، إن الظلم من أعظم الأمور التي تزيل الأمن والاطمئنان.

وإن المتتبع لآيات الذكر الحكيم في هذا الجانب يجد ذلك واضحاً جلياً، سواء في وصفه بالأمن أو في بيان ضده، المؤمن عندما يتمسك بالمنهج القرآني يعيش في أمن وطمأنينة، يعبد الله وهو آمن لا يخاف على دينه، ولا على نفسه، ولا على ماله، ولا على عقله بل يتعدى الأمن من الدار الدنيا إلى الأمن في الدار الآخرة.

وهذا جاء موضحاً في كثير من الآيات التي لا تدع مجالاً للشك أو التردد. يقول الله تعالى ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾⁵⁵، فبيّن في هذه الآية أن من اتبع الهدى المنزل فلا خوف عليه من الحزن.

وقال تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾⁵⁶، فرتب الجزاء على العمل - جزاء وفاقا - فكل من آمن بالله - عز وجل - وأخلص لله وامتلئ لكل ما جاء من عنده وما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوامر ونواهي وتواطأ على ذلك قلبه

سورة البقرة، الآية 38.⁵⁵

سورة البقرة، الآية 112.⁵⁶

محمد عالي الحماني

وجوارحه ومشاعره فهو مستحق للأمن الموفور الذي لا يساوره خوف أو يعكره حزن.

2_ البعد الإستخلافي :

جاء الإسلام يكلف الإنسان بإنجاز مهمة في الحياة من أجلها خلق، هي مهمة الخلافة في الأرض كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁵⁷، فتسمية هذا الإنسان الأول عند الإعلان عن خلقه باسم الخليفة توحى بأن الغاية من خلقه هي القيام بمهمة الخلافة في الأرض. والخلافة في الأرض تعني التعمير فيها تعميراً معنوياً يرتقي بالإنسان في سلم الإنسانية فرداً ومجتمعاً، وتعميراً مادياً باستثمار المقدرات الكونية، والانتفاع بها على أسس من العلم بما بُنيت عليه من القوانين والسنن، وكل ذلك وفق منهج محدّد، هو منهج الوسطية الذي جاء به الهدي الديني قرآناً وسنة كما قرّره قوله تعالى: ﴿وجعلناكم أمة وسطاً﴾⁵⁸.

فمبدأ الاستخلاف يعني إذن أنّ مرجعية الحضارة الإسلامية في جميع مظاهرها المادية والمعنوية هي مرجعية دينية، ينطلق الإنجاز الحضاري بمقتضاها من الإيمان بالعقيدة فيما تقرّره من تصوّر للوجود يقوم على إله واحد يتّصف بالكمال المطلق، وتصور للحياة يقوم على أنها مرحلة أولى يكون فيها التكليف، ومرحلة ثانية يكون فيها الجزاء، "وتصور لصلة بين الإنسان وربّه يقوم على أنها صلة رسالة يحملها إليه رسول صلى الله عليه وسلم ليكون بمقتضاها عبداً لله دون غيره، ثمّ يوجّه ذلك الإنجاز في تحقيقاته العملية بشريعة هادية، وأخلاق

سورة البقرة، الآية 30.⁵⁷

السورة البقرة، الآية 143.⁵⁸

الأسس المرجعية والأبعاد الحضارية للوسطية في القرآن الكريم

مرشدة، لينتهي الأمر إلى تأسيس حضارة دينية المنطلق، دينية الصبغة، دينية الغاية⁵⁹.

وهكذا يجب أن تتألق حضارتنا في رحاب القرآن الكريم وفي جو الايمان لتزدهر وتونق وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، "وبذلك تضمن التجدد وتمضي في طريق النماء التصاعد مع آمال البشر_ وتقدم الحياة. وينبض قلبها دائماً ينبض الحياة ويخفق فؤادها بآمالها ويطرد سيرها على طريقها فتكون حضارة مؤمنة ربانية_ حضارة الرقي المادي والروحي"⁶⁰.

3_ البعد الحواري :

إن التواصل والحوار، والإقناع والمحاجة؛ انما ينبغي أن تقوم في جملتها، على أرضية من احترام الآخر المقابل وعدم التصغير من شأنه، وما أروع ما نستلهمه من المعين القرآني في مجال أدب التواصل مع المخالفين، كما نجد مثلاً في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾⁶¹.

إن البعد الحواري الذي يجب أن ندعوا إليه وندخل فيه ونتبناه، هو الذي يستمد من القرآن الكريم روح الوسطية والاعتدال، لأن آيات القرآن الكريم تسودها مقاصد الوسطية والاعتدال، فهي تنبذ التطرف وتفضل التوسط بين الأطراف، ولقد وردت الكثير من الآيات القرآنية في مواضع مختلفة تشير إلى هذه المقاصد، بل تشيد بها، أي بذلك التوسط، منها قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ

عبد المجيد النجار، معالم المنهج الحضاري في الإسلام، ص 145.⁵⁹

محمد سبع، قيم حضارية في القرآن الكريم، ص: 79.⁶⁰

محمد عالي الحماني

أُمَّةٌ وَسَطًا لِيَتَّكِبُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴿٦٢﴾ ، "ويقصد بأمة وسط أمة لها طابع الاعتدال"⁶³ ، ويرى بعض العلماء أن وسطية الإسلام، تلتقي في معناها أو تتقارب مع مثالية الإسلام، فقد فسروا معنى أمة وسطاً، الواردة في هذه الآية، بأمة مثالية إذا اتبعت شريعة الله وقامت بحقها.

وهكذا، فإن البعد الحوارى في القرآن الكريم، هو الحوار الذى ينزع منزع الوسطية والاعتدال، فهو حوار بالكلمة الراقية، وبالمنهج السوي، بذلك يتميز البعد الحوارى في القرآن الكريم دلالة ومفهوماً وغاية ثم تنزيلاً وتطبيقاً. وعلى ضوء ما سبق؛ لا تتحقق الأبعاد الحضارية للوسطية في القرآن الكريم والتي أجمالناها في ثلاثة أبعاد في هذه الورقة البحثية، من خلال منهج الوسطى الذى جاء به الوحي الإلهي، فتلك وسطية اكتملت أصولها وفروعها في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، فتحقق بذلك النموذج الأكمل الذى يجب الاقتداء به في كل الأزمان والعصور، كما هو معلوم فإن السنة النبوية الشريفة مبنية مؤكدة لما في القرآن الكريم، وعلى ضوء ذلك فالأبعاد الحضارية للوسطية في القرآن الكريم، تدعو إلى الأمن والإطمئنان والإستخلاف في الأرض والحوار وإحترام الآخر، الذى يتأسس على الإيمان ومعاني العدل والاعتدال والاستقامة والتوازن، ثم نبذ صور العنف والقسوة والغضب والانتقام والإرهاب. على سبيل الختم :

إذا أردنا أن نقول قولاً جامعاً لنشرح الوسطية التي أصلناها في ثنايا القرآن الكريم، التي لها سمات وخصائص ومميزات عديدة، والتي يمكن إجمالها في؛ الخيرية، العدل، الاستقامة، اليسر ورفع الحرج، الأمان والاطمئنان، إضافة إلى اجتناب كل مظاهر الغلو والتطرف والإرهاب، فهي منهج حياة مطلوب في كل أمور

سورة البقرة، الآية 143. ⁶²

الأسس المرجعية والأبعاد الحضارية للوسطية في القرآن الكريم

الحياة، وهي تعني الاعتدال والتسامح، إضافة إلى أن الوسطية في القرآن الكريم لها دور هام في انتشار المحبة، وتنامي المودة والثقة وزوال الأحقاد، وإحسان التعامل والتعاون مع الجميع، وهي التزام بالمبادئ والقيم التي حث القرآن الكريم عليها، وهي قيم إنسانية ودينية وحضارية وثقافية وسياسية واجتماعية.

باستيعاب مفهوم الوسطية في القرآن الكريم بأسسها المرجعية وأبعادها الحضارية؛ يثمر عنه انتشار الفهم السليم والصحيح للأحداث والوقائع اليومية المتسارعة، وكذا القدرة الفكرية والمعرفية والمنهجية على التفريق بين شريعة الله السمحاء، وبين ما يصدر عن بعض من الناس من أفعال سيئة ومضرة، التي يود أصحابها إعطائها الصبغة الدينية، لأن مؤشرات الغلو والتطرف والإرهاب التي تقود إلى انحرافات فكرية وسلوكية، ليست من القرآن الكريم في شيء، ولا في صحيح السنة النبوية الشريفة ما يوحي بشيء من ذلك.

ولذلك فإن الوسطية في القرآن الكريم تحقق للمسلم المعاصر الاستقامة على الصراط المستقيم ولزوم المنهج القويم، الذي يطهر النفوس من النزعات والميول والأهواء والشهوات والشبهات الفاسدة، والظنون السيئة ويزكّيها بالعقيدة الصحيحة والتقوى الخالصة، والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة، والسلوك القويم، وينجو من الانحرافات الفكرية والسلوكية، عندها تؤتي الوسطية في القرآن الكريم بأسسها المرجعية وأبعادها الحضارية؛ ثمارها الفكرية والمنهجية والعملية، ويتحقق للمجتمعات المعاصرة الخيرية والإعتدال والعزة والتمكين. ويتحقق كذلك الأمن الفكري والروحي والسلوكي لدى المسلم المعاصر، وتتعدى مسؤوليته صفة الخصوصية تجاه ربه ونفسه ومجتمعه، إلى الشمولية تجاه العالم كله.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم

- سعيد، الحسين آيت ، 2014م، الوسطية والإعتدال: دلالة، ومفهوماً، وتطبيقاً، المغرب، مكتبة الهداية، ،

- عامر ، ناصر ، 1314هـ ، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، المغرب، دار الوطن.

- ابن كثير ، عماد الدين، ت1420هـ، 1999م،، فسير القرآن العظيم، السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع،

- الشنقيطي، محمد الأمين، 1996م،، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لبنان، دار إحياء التراث العربي،

- ابن عاشور، محمد طاهر ، تفسير التحرير والتنوير، بدون طبعة والتاريخ، تونس، الدار التونسية للنشر،

- قطب، محمد، 1972م،، في ظلال القرآن، ط1، مصر، دار الشروق،

- محمد، قطب، 1970م،، منهج التربية الإسلامية، مصر، دار الشروق.

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، 1420هـ، 2000م،، تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق

اللبنان، مؤسسة الرسالة.

- الألوسي، شهاب الدين، 2001م،، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،

- القرشي، أبو الفداء إسماعيل، 1420هـ، 1999م،، تفسير القرآن العظيم، السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع،

- البيضاوي، ناصر الدين أبي الخير عبد الله، 1989م. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت، دار إحياء التراث العربي،